معاني (جعل) في الإفراد والإسناد والاستعمال القرآني

المدرس المساعد
خالد كاظم حميدي
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

المدرس الدكتور
تومان غازي حسين
الكلية الإسلامية الجامعة

معاني (جعل) في الإفراد والإسناد والاستعمال القرآني

المدرس المساعد
خالد كاظم حميدي
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

المدرس الدكتور
تومان غازي حسين
الكلية الإسلامية الجامعة

المقدمة:

الحمد لله الذي علـّم بالقلم، علـّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد على آله الطيبين وصحبه المنتجبين، وبعد:

فقد ظل القرآن الكريم موضع عناية الدارسين قديما وحديثا، لما وجدوا فيه من أسرار خفية لم يوقف على مثلها في النصوص الإبداعية وإن سمت إلى أعلى مراتب الإبداع، وذلك لاستعماله المتفرد والمتميز للغة، التي لا تتوقف دلالتها على حدود ثابتة، إذ تنفتح آفاق جديدة لكل قراءة جديدة تكشف سرا من أسرار هذا النص العظيم.

وتأتي أهمية هذا البحث الموسوم (معاني "جعل" في الإفراد والإسناد والاستعمال القرآني) من خلال الكشف عن المعاني الكلية في التركيب الإبداعي، التي تتولد من تفاعل المعاني المعجمية والوظيفية النحوية في جملة من أغنى الجمل دلالة في القرآن الكريم،لتضمنها معنى معجميا مختارا،هو معنى التصيير،الذي لا يمكن تجاهل صورته الحركية مهما كان التركيب النحوي والبلاغي لجملة (جعل).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على ثلاثة مباحث، أكد الأول المعاني المعجمية الدقيقة، الحسية والمعنوية، وخصص المبحث الثاني لدراسة معاني الفعل(جعل) في التركيب الإسنادي (النحو)، وخصص المبحث الثالث لدراسة معاني (جعل)في الاستعمال القرآني.

وقد أسس المبحث الأول فرضية البحث في إرساء معاني الفعل المعجمية الدقيقة. ومنه انطلق الباحثان في ردهما على النحويين الذين تجاهلوا المعاني المعجمية لتأكيدهم معاني الفعل (جعل) الوظيفية النحوية التي تنسجم مع قواعدهم، وقد أثر الفهم النحوي هذا في معاني القرآن الكريم سلبا،ذلك أن كثيراً من المفسرين كانوا من النحاة،فكانوا يعنون بالشكل متجاهلين المعاني المعجمية والتوليدية التي تحدد الموضوع المتحدث عنه ومواقف المتكلم من المخاطب والقوة الانجازية لفعل الكلام. ولاسيما إذا كان الكلام بليغاً يختار المفردات لخصوصية معناها الدقيق، حتى لا يمكن أن تحلّ أي مفردة محلها، وإن بدت أنها ترادفها في المعنى، وذلك ما وقع به كبار النحويين والمفسرين في تضمين معنى (جعل) معاني أفعال أخرى منها:خلق، وأنشأ ووضع،وأدخل وغيرها، مما يتعدى إلى مفعول واحد، بسبب اختفاء أحد مفعولي (جعل) نتيجة التعقيد الأسلوبي في جملة (جعل) القرآنية.

وقد واجه الباحثان مجموعةً من المصاعب، ذلك أن الدراسات السابقة على جلالة قدرها لم تستطع أن تعينهما على الكشف عن مقاصد الآيات المباركة لجملة(جعل)، مما جعل التأمل والتأويل ـ في تلك المواطن ـ هو الأداة الرئيسة التي استعملت في الكشف عن المعنى، ولكن هذا لا يعني إهمال المصادر والمراجع ذات الصلة، وما يتصل منها بالجوانب اللغوية أي المعجمات وفي مقدمتها: معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) ، ومقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ) ، وأساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ) ، ولسان العرب لابن منظور(ت711هـ)وغيرها.

وما يتصل بالجانب النحوي نذكر من المصادر: الكتاب لسيبويه(ت180هـ) ، وشرح المفصل لابن يعيش (ت643هـ) ، ومعاني النحو للدكتور فاضل السامرائي وغيرها. أما التفاسير فقد اعتمدنا على التفاسير ذات الطبيعة اللغوية والبيانية ومنها: التبيان في تفسير القرآن للطوسي (ت460هـ) ،والكشاف للزمخشري، ومفاتيح الغيب للرازي(ت604هـ)، والبحر المحيط، لابن حيان الأندلسي(ت745هـ) ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (ت982هـ) ، وروح المعاني للآلوسي(ت1270هـ)، وغيرها.

وعلى الرغم من هذا الجهد الذي قدمه الباحثان، إلا أنهما لا يزعمان فيه أنهما بلغا الكمال، فالكمال لله وحده، عليه توكلنا،ومنه نستمد العون، فهو نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

معاني (جعل) في الإفراد

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: ((جَعَلَ جَعْلاً: صنع صنعاً، وجَعَلَ أعمّ؛ لأنك تقول: جَعَلَ يأكل، وجَعَلَ يصنع كذا، ولا تقول: صنع يأكل. والجَعْلُ: ما جَعَلتَ لإنسان أجراً له على عمل يعمله.والجعَالة[بتثليث الجيم] أيضا، والجُعَلات: ما يتجاعل الناس بينهم عند بعث أو أمر يحزبهم من السلطان. والجَعَل: دابة من هوام الأرض، والجَعْلُ، واحدها جَعْلَة، وهي النخل الصغار، والجِعَال والجِعَالة: خرقة تنزل بها القدر عن رأس النار يتقى بها من الحر))[١].

إنّ الذي يفاد من تحديد الخليل لنواة المعنى المعجمي للفظة (جعل) هو دلالتها على معنى أعم من الصناعة والعمل، أي أن هناك إضافة لمعنى الصناعة تظهر في الصيرورة والتحويل من حال إلى حال أخرى.وقد ورد ذلك في نطاق المحسوسات أولا، ثم المعنويات المتجسدة في المحسوس، لتضمنه التحويل في أثناء الصناعة، فعملية تحويل الخرقة غير المصنعة إلى خرقة مصنعة تلائم إنزال القدر عن النار، تحوّل تسميتها إلى (جِعالة). وكذلك لفظة (الجَعْلة) تطلق على صغار النخل، الذي يميزها من النخل الكبار، الذي يُسمى بعلا، وهو: ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء[٢]، فهو يقابل (الجثيث) أو الفسيل[٣].

فالجَعْلُ إذن أقلّ من الفسيل إنباتا، وربما يشير الجذر اللغوي إلى عملية إنبات النوى، وذلك ما يحمل معنى التحوّل من النوى إلى صغار النخل دون الفسيل، قال ابن منظور: ((الجَعْلة: النخلة القصيرة، وقيل: هي الفائتة لليد.... الأصمعي: الجَعْلُ قصار النخل))(٤).

أما تسمية إحدى دواب الأرض بـ (الجَعَل)، فلم يخرج عن هذا المعنى (صناعة وتحويل)، ذلك بأن هذه الدابة تقوم بتحويل الجعر، وهو العذرة اليابسة، إذ تكورها وتدحرجها إلى بيتها لتدخرها غذاء(٥).

ثم تتسع معاني (جعل) إلى ما هو معنوي بحت في لفظة (الجُعَالات)، وهي ما يتجاعل الناس بينهم عند بعث أو أمر يحزبهم من سلطان، فيكون معناها: صناعة تحويلية في الرأي النهائي المنسوج من آراء أولية بسيطة مختلفة أو متناقضة.

وقد يتسع المعنى عن طريق مجاز المجاورة (٦)في لفظة (الجَعْل): بوصفه أجرا على عمل، فالعامل يصنع ويعمل على تحويل الأشياء المحايدة أو غير النافعة إلى مفيدة ذات قيمة، لذلك يدفع له أجر، سماه العرب (جَعْلا)، يقابل ما أنجزه من عمل أو صناعة، وكأن ذلك العمل أو الصناعة قد تحوّلت إلى مال عن طريق علاقة المجاورة بين العمل والأجر.

وكذلك في تسمية الكلبة المستعدة للسفاد بأنها (كلبة مُجْعِلٌ)(٧)؛ بسبب تغير سلوكها المألوف لاستعدادها للتزاوج، وهو استعداد يجاور حال التلقيح والحبل وإنتاج جراء جديدة، وبهذا تتحوّل إلى أمّ.وثمة فروق دقيقة تميز العمل من الصنع، والعمل من الجعل، ذكرها أبو هلال العسكري (ت395هـ) في قوله: ((إن الصنع ترتيب العمل وإحكامه على ما تقدم علم به، وبما يوصل إلى المراد منه، لذلك قيل للنجار صانع، ولا يقال للتاجر صانع، لأن النجار قد سبق علمه بما يريد عمله من سرير أو باب وبالأسباب التي توصل إلى المراد من ذلك، والتاجر لا يعلم إذا اتجر أنه يصل إلى ما يريده من الربح أولا، فالعمل لا يقتضي العلم بما يعمل له،ألا ترى أن المستخرجين والضمناء والعشارين من أصحاب السلطان سمّوا عمالاً؟، ولا يسمون صناعا، إذ لا علم لهم بوجوه ما يعملون من منافع عملهم، كعلم النجار والصانع...))(٨).

فمعنى (الجعل)إذن أقرب إلى الصناعة منه إلى العمل لتضمن معنى الصناعة العلم بعمل شيء، ولكن(الجعل) يحتاج إلى معنى آخر يميزه من الصناعة؛ لأن معناه أعمّ - بحسب رأي الخليل -، وهذا المعنى هو((تغيير صورة[الشيء] بإيجاد الأثر فيه وبغير ذلك، ألا ترى أنك تقول: جعل الطين خزفا، وجعل الساكن متحركا، وتقول: عمل الطين خزفا، ولا تقول :عمل الساكن متحركا؛لأن الحركة ليست بأثر يؤثر به في الشيء))(٩).

وبهذا يكون معنى(الجعل) متضمناً لمعنى: إيجاد الأثر في الشيء بعلم بحيث يغير صورته بإيجاد الأثر فيه. وهو قريب إلى ما توصلنا إليه سابقا،بأن معنى (الجعل) صناعة تحوّل الشيء من حال إلى حال أخرى، أي أن المعنى الدقيق لهذا الفعل ذو خصوصية تصور الصيرورة والحركة كأفعال المشاركة نحو: تقاتل،

وتشاجر، وبعض الأفعال المصوغة على (انفعل)، نحو: انتقل، وعلى صيغة (تفعّل)، نحو:توسع، وتألم إلى غير ذلك.

إن هذه الأفعال تنماز برسم صورة حركية عبر الزمان، وهذا يعني أن أي إهمال لهذا المعنى المعجمي الدقيق للفعل (جعل)، أو ما يسمى بـ (نواة المعنى)، سيؤثر في فهم الكلام الذي يرد فيه هذا الفعل، ولاسيما في النصوص البليغة التي تختار الكلمات اختيارا دقيقا من بين البدائل الممكنة القريبة منها. فهذا المعنى لا يختفي كله عند دخول المفردة في سياق تركيب، بل يتفاعل مع معاني التراكيب الكلامية بقوة. وهذا الأمر يؤلف إحدى سمات اللغة في ثنائيات سوسير (1857-1913م) F. D. Saussure، ومنها ثنائية: الدلالة والتخاطب، إذ تقوم هذه الثنائية على الاعتقاد الشائع عند معظم العلماء المعنيين بعلم الدلالة بإمكان دراسة المعاني على مستويين مختلفين؛ مستوى قبل التحقق السياقي في مقام التخاطب، ومستوى بعد التحقق السياقي حتى يصير قصدا فعليا متأثرا بالقرائن التي ينصبها المتكلم[١٠].

ولدينا أمثلة كثيرة في العربية تظهر التأثير السياقي في الكلمة، إذ يعطينا معاني مختلفة من سياق إلى آخر، مثلا كلمة(ضرب)، فالمعاني المعجمية لهذه الكلمة متعددة منها: سكّ العملة، في قولك: ضربت الدولة درهما أو دينارا ذهبيا، وإقامة الخيمة أو السرادق في قولك: ضربت الخيمة، والسياحة والتنقل في البلدان في نحو قولك:ضرب زيد في الأرض،ولكن يبقى التأثير السياقي في قولك: ضرب محمد زيدا، أكثر من غيره لانصراف الذهن إلى المعنى الأكثر شيوعا من المعاني لـ(ضرب).

وهذا يدل على أننا إذا قمنا بتضمين الفعل معنى فعل آخر، فإننا نقوم بتبسيط المعنى المقصود ليلائم إدراك متعلم اللغة، فقولنا: في ضرب العملة، أي :سكها، وقولنا في/: ضرب في الأرض، أي: سار، وكذلك في: ضرب الخيمة، أي: بناها أو نصبها، فإن ذلك كله يبدد نواة معنى الضرب الذي التمسه ابن فارس بقوله: ((الضاد والراء والباء: أصل واحد، ثم يستعار ويحمل عليه... ويشبه به الضرب في الأرض تجارة وغيرها من السفر... ومن الباب :الضرب: الصيغة، يقال: هذا من ضرب فلان، أي صيغته، لأنه إذ صاغ شيئا فقد ضربه))[١١].

ومثل ما قلنا في لفظة(ضرب)، يمكن أن يقال على لفظة (جعل)، في بقاء معناها الأساس، أو ما أطلق عليه المحدثون بالوحدة الدلالية الصغرى Lexeme[١٢].

المبحث الثاني

معاني الفعل (جعل) في الإسناد النحوي

النحو تنظيم للقوانين أو تحقيق لها ضمن شروط محددة،تؤكد صحة التركيب، وقبول دلالته[١٣]، فقولنا: جاءت هند، جملة صحيحة التركيب والمعنى، أما قولنا: جاءت المدرسة، فهي جملة صحيحة التركيب غير مقبولة المعنى، إلا بحملها على المجاز أو على التأويل، وتعني جاء طلابها ومدرسوها ومديرها وموظفوها..إلى غير ذلك.وفي موضوعنا الذي يعنى برصد الفعل (جعل) ضمن التراكيب المختلفة يتغافل كثير من النحاة نواة معنى هذا الفعل القوية لعنايتهم الكبيرة بالوظائف النحوية لمفردات التركيب، التي تضبط قواعدهم، حتى تصوروا معاني للفعل (جعل) بدت كأنها ذات أصول متفرقة هي[١٤]:

1- إنها فعل من أفعال الظن يفيد الرجحان ينصب مفعولين، نحو: جعلت القطة كلبا. قال الراغب (ت502هـ) : ((ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرحمن إِنَاثًا﴾[١٥]..))[١٦].

2- إنها فعل من أفعال التحويل أو التصيير، ينصب مفعولين [١٧]، قال الزمخشري: ((ومنه قوله تعالى:﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[١٨]، أي صيّرها))[١٩].

3- إنها فعل من أفعال اليقين، ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، نحو: جعلت العلم رمزا للوطن، أي: اعتقدت العلم رمزا للوطن[٢٠].

4- إنها فعل من أفعال الشروع، يرفع المبتدأ وينصب الخبر، نحو: جعل المعلم يشرح الدرس، وقد جعل بعض النحاة القدماء الأفعال: جعل وبدأ ووهب وشرع وأنشأ وطفق، وأخذ وعلق، وطبق. بمعنى واحد، فهي من المترادفات عندهم، التي تدل على الإنشاء والشروع في الفعل[٢١].

ويرى غير واحد من المحدثين أنها من الأفعال الناقصة التي أفرغت من معانيها اللغوية، وأصبحت تدل على معنى نحوي واحد، هو معنى شروع المبتدأ بالاتصاف بالخبر[٢٢]. وهذا فيه نظر سنبينه لاحقا.

5- إنها فعل بمعنى أوجد أو خلق، أو بمعنى: فرض وأوجب [٢٣]، فينصب مفعولا واحدا، وقيل منها: قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾[٢٤].

6- إنها فعل بمعنى أعطى فينصب مفعولا به واحدا، نحو:أجعل للدرس جزءا من وقتك[٢٥].

نلحظ أن النحو التقليدي ـ إجمالا ـ ،قد استند إلى فلسفة خاصة تنبع من فكرة الإسناد (فعل + فاعل)، أو(مبتدأ + خبر)، بوصفها فكرة منطقية، إذ لكل فعل فاعل، ولكل مبتدأ خبر. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نرجع الجملة الفعلية والاسمية منطقيا إلى أصل واحد، هو: (المبتدأ والخبر)، فنقول: إن الفعل مبتدأ أخبر عنه بالفاعل، لولا أن تقسيم الجملة في التقسيم القديم، قد انتقل من مجال المنطق الموافق للجملة الاسمية، إلى مجال اللغة في الفعلية منها، وتلك خطوة لا ينكر فضلها، لكننا إذا تجاوزنا ميدان التصنيف اللغوي ونظرنا إلى اللغة في ضوء فكرة الأغراض أو المقاصد المتغيرة باستمرار، نجد أن تصور اللغة، أو فلسفتها يحتاج إلى تعديل أساس يبحث في كيفية تذليل الأساليب النحوية المتفق عليها لاستخراج ما فيها من قوة

كامنة[٢٦]، بتجاوز عمل النحوي الذي يرتكز على الصحة والخطأ ـ في الأعم الأغلب ـ إلى متذوق اللغة الذي ينظر إلى التراكيب ومعانيها جنبا إلى جنب معاني المفردات التي تتفاعل مع معاني التراكيب، فهذا سيبويه، بحسه اللغوي السليم، لم يقل بترادف الأفعال التي استعملت في تركيب جملة الشروع، بل نظر إلى خصوصية الفعل (جعل) المتضمن معنى الصيرورة، قال: ((جعل يقول ذاك، كأنك قلت: صار يقول ذاك))[٢٧].

وقد أحس أيضا الفرق الدقيق في معنى (جعل) فوجدها أقرب إلى الصيرورة من طريق الصناعة فهي تختلف عن العمل، قال: ((وجعلت، إذا لم ترد أن تجعلها بمنزلة عملته، ولكن تجعلها بمنزلة صيرته...))[٢٨].ويتضح هذا الإحساس العميق في عمل الناقد المتذوق الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، إذ وسع ميدان عنايته بالتراكيب التي تركها النحو التقليدي للبلاغة [٢٩]، وصولا إلى الميدان الذي يميز نظم القرآن الكريم من غيره في الاستعمالات العجيبة الرصف التي بهرت البلغاء والفصحاء، لذا يلوم الجرجاني النحويين، لأنهم قصروا عنايتهم بالأشكال لبساطة كشفها وقلة فائدتها قياسا إلى معاني النحو بمعناه الواسع، يقول: ((وليت شعري إن كانت هذه الأمور هينة، وكان المدى فيها قريبا، والجدى يسيرا واشتد التباين وترقى الأمر إلى الإعجاز والى أن يقهر أعناق الجبابرة))[٣٠].

والواقع أن الجرجاني لم يستطع بلوغ هذا المستوى في هدم مفهوم النحو للعبارة أو المعنى الجزئي، ولكنه لحظ ـ إجمالا ـ أن الشعر يبدو عليه طابع الجهد الشخصي في التعبير، ولذلك يستحق البحث. فالمعنى الذي يعطيه الشاعر يختلف عن المعنى الذي يعنى به النحوي المتأثر بفلسفة الصانع الواقعي، أو المعنى بالعبارات المعتادة الجارية على ألسن متكلمي اللغة عامة[٣١]. ومنها الأمثلة النحوية المصنوعة التي جيء بها لملء البنية العميقة المجردة ببنية سطحية غير مستمدة من أقوال البلغاء، التي تميز أساليبهم ببصمة خاصة من أساليب سواهم.

وكذلك أوضح الزمخشري منهجه في مقدمة تفسيره،بأنه أسلوبي معرّضا بمن لا يتصدى من المفسرين ((لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني[معاني النحو]، وعلم البيان... متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر، مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر؛ قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف، طالما دفع إلى مضايقه ووقع في مداحضه ..))[٣٢].

إنّ هذه التوجهات المنهجية تؤكد التفرقة بدقة بين معاني الصيغ والعبارات في ظل الغرض الذي يقصده المؤلف مادام موضوع البحث يتصل بالمنجز الكلامي المتميز ولا يتصل بالصناعة الشكلية المجردة، لذا يجب أن نحلل صناعة المنجز بوصفها عملا تكوينيا يبتدئ من اختيار المفردات، ومراعاة السياق بنوعيه: اللغوي الذي ترد فيه المفردات المختارة منسجمة مع الأعراف اللغوية أو مخالفة لها مخالفة واعية، تجعلها تؤلف مثيرا أسلوبيا يتوقف عنده المتلقي أو الناقد لمعرفة أسرار هذا الاختيار، أما السياق الآخر ـ الذي يجب أن يراعى ـ ،فهو ما اصطلح عليه

بـ(مقتضى الحال) أو المقام، أو سياق الحال، أو سياق الموقف Context of situation الذي يؤثر في طريقة الخطاب من حيث اختيار العلامة اللغوية وتجسيدها، ويؤثر في المعنى أيضا تأثيرا كبيرا[٣٣].

وذلك ما تضطلع به التداولية التي تحدد معنى الكلام المنطوق في موقف أو مقام محدد، وهذا يعني أنها تدرس اللغة بوصفها نظام اتصال يؤكد وظيفتها، التي تجمع إلى جانب النحو (الدراسة الشكلية للغة)، الجانب التداولي (الوظيفي للغة). ويدرس هذا الجانب الإحالة الخارجية (موضوع الخطاب)، والمعلومات الإخبارية التي تتضمنها الجملة، والقوة الانجازية لها[٣٤].

كل هذه الأمور المهمة في فهم معنى (جعل) لم تراعَ في تقسيمات النحو السابقة، وإذا ناقشناها على وفق التوجهات المنهجية السابقة، نجد أن معاني كثير من أمثلتها لا تصمد، إلا بمراعاة معاني التصيير للفعل (جعل)، جنبا إلى جنب وظيفته النحوية.

ففي القسم الأول الذي أعطى الفعل (جعل) معنى الظن، ومثاله: (جعلت القطة كلبا)، فإن للظن معنى مختلفاً عن معنى الجعل، إذ قد نفهم من الكلام، أنه كلام عالم أحياء اكتشف زيف الاختلاف بين القطط عن الكلاب، فوجد عن طريق التشريح الدقيق بأن هناك صفات مشتركة كبيرة تكشف انتماء القطط إلى فصيلة الكلاب، مبعدا زيف التمايز الظاهر. فالخطاب ـ إذن ـ صناعة عن علم غيّرت صورة القطة في أذهاننا، وليس القطة في نفسها، وهذا يعبّر عن حقيقة علمية عبّر عنها بـ(جعل) التي تفيد التصيير. أما معنى (الظن) فمخالف لهذا المعنى. وفي مثال سيبويه: (جعل البصرة بغداد: ظنها إياها)[٣٥]. هذا المثال يحتمل معنيين؛ أولهما: السخرية من الجاعل؛ لأن البصرة مختلفة عن بغداد، وثانيهما: الدهشة من عملية تصيير المخاطب للبصرة. بصناعة عن علم حتى تحولت صورتها وكأنها هي، عن طريق هندسة شوارعها ومعالمها، ولهذا فليس صحيحا أن يجزم سيبويه بمعنى الظن، ذلك أن الظن مختلف عن السخرية والدهشة اللتين استنبطنا معنييهما من مراعاة سياق الحال، أما معنى الظن الذي زعمه سيبويه فآتٍ من انشغاله بفلسفة الفاعل المنطقية [٣٦]، بافتراض أن لفظة البصرة وضعت لمدينة مخصوصة تميزها من بغداد، فالبصرة هي البصرة، ولا يمكن أن تكون بغداد، وهذا يمكن أن يكون مثالا على القانون الأول في المنطق الصوري.

وقد تابع سيبويه في هذا الوهم من المحدثين الدكتور فاضل السامرائي، إذ قال: ((ثم نقل[الجعل] إلى معنى الظن والاعتقاد، فإذا قلت: جعل البصرة بغداد، كان المعنى كأنه فعل ذلك، ولما كان هذا لا يكون؛لأن البصرة لا تكون بغداد، فهم من ذلك أنه أريد الظن، وكذلك إذا قلت: جعل عليا أخاك، كان المعنى كأنه فعل ذلك، ولما كان هذا لا يكون؛ لأن الرجل لا يكون أخا بالجعل فهم منه أريد قصد الظن))[٣٧].

خلط السامرائي في أمثلته بين معنى كلام المتكلم وموقفه من المخاطب، من جهة، والموضوع الذي يدور الحديث عليه، من جهة أخرى، أكان الحديث يصف

الموضوع أم يسميه؟، وكأنه يقول له: كن فيكون، فإذا لم يملك المخاطب الظان هذه المقدرة (كن فيكون)، فإننا سنعده ظانا واهما.

وبهذا لم يميز السامرائي بين اللغة الواصفة للأشياء، واللغة المسمية لها. فالتسمية تتطلب الحضور المباشر للمسمى إلى مجال رؤيتنا، فإذا لم تكن هذه الوقائع موجودة في مجال الرؤية فإن قضايانا تصبح بلا وظيفة، ومن ثم تصبح اللغة بلا وظيفة، وهذا غير ممكن. أما اللغة الواصفة فهي التي تتحدث عن الوقائع؛ لا عن الأشياء، فهي ترسم للواقع شبها أو مماثلة [٣٨]، يستمد حقيقته من الإمكان، أي من إمكان جعل البصرة بغداد على وجه المشابهة، فإذا حدثت المشابهة يكون معنى الكلام اندهاشا، وإذا لم تحصل المشابهة يكون المعنى سخرية من الفاعل، بحسب المعنى المتصور من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرحمن إِنَاثًا﴾[٣٩]، قال الآلوسي: ((فالجعل بمعنى التصيير، وليس تصييرا في الخارج، بل في القول))[٤٠].

ومن هنا يمكن أن نقول إنه لا يصح تأويل الكلام البليغ من قرآن أو شعر، ليكون شاهدا على القاعدة النحوية، إذ وضع النحاة الآية الكريمة مثالا لإقحام معنى الظن على الفعل(جعل). وهذا غير صحيح، فمعنى الآية يأتي من موازنة تحديد الله تعالى لوظيفة الملائكة، وجعل الجاعلين لهم إناثا، أي تحويلهم بأذهانهم التي غيّرت صورتهم من عباد لله إلى صورة الإناث، وهو تحويل لا علاقة له بالملائكة في الواقع، بل هو تحويل يعبر عن موقف الجاهليين من الملائكة. والموقف صادق أبدا.إنها موازنة بين رؤيتين للعالم فرقتها اللغة بما تحمله من ثقافة إسلامية تصطدم بثقافة جاهلية لتجتثها، لا من وصف شيء واقعي أو تقريره، بل من موقف المتكلم من الشيء، الذي هو خالقه (الذين هم عباد الرحمن)، بإزاء موقف مناقض (جعلوهم إناثا). والمواقف لا تحتمل فكرة الصدق والكذب المنطقية، لأنها صورة تأخذ معناها من إمكان التحقق، فالمعنى ـ إذن ـ قضية منطقية لغوية صرف، لا تتوقف على تحقق شرط الصدق أو عدم تحققه؛لأنه سابق على هذا الشرط، وهذا يعني أن المعنى مختلف اختلافا جوهريا عن شرط الصدق. ـ بحسب رأي لودفيغ فتغنشتاين (L. Wittgenstein)[٤١].

لكن كيف يجتث موقف صادق آخر مثله؟! أنه الأسلوب الذي يحدد علاقات الخطاب ووصلها بسياق التلفظ، فخالق الملائكة هو المتكلم الذي يريد زعزعة اعتقاد المخاطب، بجملة اعتراضية واصفة (الذين هم عباد الله) اعترضت عملية تحويل الملائكة إلى الصورة الجديدة (إناث)، ومنعت أن يتبادر المعنى إلى الضد، أي: ذكور. وهذا يضعف موقف المخاطب ويشوق القارئ لمعرفة ما ستؤول إليه صناعة الجاهل بإزاء المعترض الخالق العليم ليزداد أثر السخرية بهم عند المتلقي. وبهذا تتعاضد دلالة سياق الحال ودلالة سياق النص في توليد معنى جديد غير مباشر مختلف عن المعنى العام المباشر المتبادر للذهن أول وهلة.أما معنى الظن فإنه يوحي بخلاف الصفة التي أسندت إلى الفعل، تقول: ظننتك كريما، يعني: أنك بخيلٌ، وظن الكفارُ الملائكة إناثا، أي أنهم ذكور. وهذا المعنى منحاز، غير مقصود، وإن كان

سهل الإدراك.

وعلى هذا الأساس يكون معنى (جعل) من الأعمال اللغوية التي تتعاضد فيها دلالتان تشير الأولى إلى تأويل القول بمعناه الحرفي، وثانيهما: يعنى بحالات يشتغل فيها القول اللغوي بكيفية مركبة، وذلك عن طريق التعبير ضمنا عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، نحو: التلميح والسخرية وحالات تعدد المعنى التي تفصح عن أكثر مما يفصح عن المحتوى الظاهر للملفوظ لتوافر خلفية من المعطيات السياقية التي يتقاسمها المتكلم والمخاطب(٤٢).

أما القسم الثالث لمعنى (جعل) من التقسيم النحوي، فهو الذي يحدده النحويون في معنى اليقين، عندما تدخل (جعل) على جملة أسمية من (مبتدأ وخبر)، لكن معنى اليقين مختلف عن معنى (الجعل) المعبر عن موقف المتكلم من عملية تحويل العلم إلى رمز للوطن، في جملة المثال المذكور، على الرغم من تشابه البنيتين العميقتين على النحو الآتي:

أيقنت العلم رمزا للوطن= فعل + فاعل + (مبتدأ وخبر).

جعلت العلم رمزا للوطن = فعل + فاعل + (مبتدأ وخبر).

نلحظ اختلاف المعاني في الجملتين وتطابقا في البنى العميقة، وهذا يدل على أن النحو التقليدي والتوليدي يحاول أن يبسّط البنى السطحية ويختزلها إلى بنى مجردة بعيدة عن الخطاب التواصلي الحي، وهي إحدى المؤاخذات التي وجهها العلماء اللسانيون الاجتماعيون، والتداوليون إلى اللسانيات، إذ لم تميز كفاية شومسكي N. Chomisky، ولا لسانيات سوسير بين البنى السطحية المختلفة المعنى المولدة من بنى عميقة واحدة(٤٣).

وذلك يشمل أفعال الشروع أيضا ومنها (جعل) التي صنفت مع الأفعال:شرع، وطفق، وأخذ، وعلق، وغيرها بوصفها مترادفة المعنى تدل على الإنشاء والشروع، ومثالهم في هذا الشأن: (جعل المعلم يشرح الدرس)، أي بدأ يشرحه، لكن لو وضعنا للجملة السياق الآتي: (كان المعلم يمازح الطلاب، فلما رأى المدير جعل يشرح الدرس). لوجدنا أن الفعل (جعل) قد استعاد معناه اللغوي بقوة في الجملة، مشيرا إلى براعة التحول من حال إلى حال، أو السخرية، بحسب الموقف، وذلك يختلف عن معنى (بدأ). فالبدء يظهر فيه التحول من حال إلى حال، ولكنه لا يشير إلى البراعة في التحول، فقولنا: (بدأ المريض يتعافى)، يشير إلى لحظة البدء في التعافي، التي تقابل حال اليأس منه، والحد الفاصل بين الحالين هو البدء.والحال الأولى مستنتجة؛ لأن المتكلم قد سكت عنها، لأنها غير مهمة، أو أنه اعتمد على ذكاء المتلقي في الاستنتاج.

ولهذا لا يمكن الاعتماد على التصنيفات النحوية التي جاءت بعد سيبويه في توجيه معاني الكلام البليغ، ولاسيما القرآن الكريم؛ لأن أكثر هذه التصنيفات شكلية لم تراعِ معاني ألفاظ الإسناد الدقيقة، ولا ظروف الكلام، بل كانت تصنيفات تعتمد الشكل حسب، في الأعم الأغلب. وكذلك الحال في المعاجم المتأخرة(٤٤).

لذا سنحلل مجموعة من الآيات التي وردت فيها (جعل) لنبين معنى هذا

الفعل من النظر إلى معناه المعجمي الدقيق، ودلالته المستوحاة من العلاقات البنيوية في سياق النص،فضلا عن سياق الحال، وتلك قرائن مهمة تؤثر في دلالة الكلمة، ونرد على التأويلات التي نراها غير ملائمة في كثير من المعجمات ومصادر النحو والتفاسير التي تأثرت بها.

المبحث الثالث

معاني الفعل (جعل) في الاستعمال القرآني

ظلّ الاستعمال القرآني للغة موضع عناية الدارسين قديما وحديثا، لما وجدوا فيه من أسرار خفية لم يوقف على مثلها في النصوص الأدبية الأخرى، وإن سمت إلى أعلى مراتب الإبداع. وقد استوقفت كثيرا من المفسرين والبلاغيين، فراحوا يبحثون عن أسبابها لتكون قابلة للإدراك فيزداد متذوقوها يقينا بإعجاز النص القرآني وبأنه من لدن عزيز حكيم، من حيث العملية التكوينية التي تتبدى من اختيار المفردات بمراعاة السياق بنوعيه: اللغوي الذي ترد فيه المفردة المختارة، وسياق الحال أو المقام الذي يؤثر في طريقة الخطاب من حيث هي أداة من أدوات التواصل الذي يحتاج إلى تناسب بين الملفوظ والموقف.

وهناك جزء كامل من علم اللغة المعاصر يعنى بتعريف الكلمات بمعانيها، أكثر مما يعنى باقتران بعضها ببعض من ناحية السياقات النحوية والتركيبية التي تستند إليها في اختيار مواقعها، فالاختيار المعنوي إجراء إنشائي تكويني Illocutionary للبحث عن الرسالة الأدبية برصد الترابط بين الكلمات التي ترد على وفق معيار الاحتمال، لمعرفة أيها تصلح للتعبير عن مقاصد المتكلم من بين البدائل الممكنة[٤٥].

وقد وردت بعض مصطلحات هذا العلم في الموروث البلاغي العربي تحت مسميات منها: (فصاحة الألفاظ في (التراكيب)، و(التمكين)، و(القبول) وغيرها، قال الجرجاني: ((وهل قالوا: لفظة متمكنة، ومقبولة، وفي خلافه: قلقة ونابية ومستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكين عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبو من سوء التلاؤم...))[٤٦].

وسندرس في هذا المبحث معاني جملة (جعل) في آيات منتخبات من حيث المعنى الدقيق للفعل المتفاعل مع معاني الكلمات التي تتألف منها جملة (جعل)، فضلا عن الوظائف النحوية التي تحددها الجملة لكلماتها، ومنها الوظائف التي وجدنا غير واحد من النحويين يؤكدونها، غاضين الطرف عن المعنى المعجمي للفعل.

وقد بينا خطأ التركيز على المعنى الوظيفي النحوي وحده، لأنه يركز على الوظائف الشكلية للجملة من دون النظر إلى المعاني المعجمية والمعاني التوليدية التي تحدد الموضوع المتحدث عليه، ومواقف المتكلم من المخاطب والقوة الانجازية لفعل الكلام. وهذه الأمور قد تخرج معنى الكلام عن مقتضى ظاهره [٤٧]، ذلك أن معنى الكلمة في التركيب هو محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى.ولذلك ستبدأ دراستنا

لهذا الموضوع من افتراض مؤداه أن نواة المعنى للفعل (جعل) تبقى ماثلة في التركيب، لا يمكن اختزالها؛لأنها تعبّر عن صيرورة وحركة، وأن كلّ تضمين أو إشراب أو تأويل لمعنى هذا الفعل بمعنى فعل آخر يؤدي إلى تسكين صورة الفعل الحركية في التركيب الذي تظهر في الجملة القاعدية الأصل. وهي تتألف من دخول الفعل مع مفعولين من الذوات أو الأشياء، الأول: متحوَّل عنه، والآخر: متحوَّل إليه. وتأتي مشكلة البحث في تبادل المواقع المعنوية عندما يحصل تبديل في شكل المفعول الثاني، أو حصول حذف، لذا يمكن تقسيم معاني (جعل) في القرآن الكريم على الموارد الآتية:

1- الجملة القاعدية الأصل، التي يأتي فيها المفعولان أشياء محسوسة ليس فيها مشكلة لوضوحها، وندرس هذه الجملة لتكون معيارا أسلوبيا يحدد مدى التحولات في الجمل غير القاعدية.
2- الجملة التي يأتي فيها المفعول الثاني مشتقا، فيكون صفة تلتبس بالحال إذا كانت نكرة، وهذا يجعله من تتمات الاسم الأول في الجملة؛لأنه يصف المفعول الأول، فيجذبه إليه ويتحد به؛ ذلك بأنّ الصفة والموصوف شيء واحد ليصبح مفعولا ثانيا،فيظل موقع المفعول به الأول فارغا يعتمد في كشفه على ذكاء المتلقي. نحو: جعلت قلبك قاسيا. أي: جعلت قلبك غير القاسِي قلبا قاسيا.
3- الجملة التي فيها المفعول الأول محذوف، فيوهم أن الفعل (جعل) أصبح متعديا لمفعول واحد،ولكن هذا غير صحيح، إذا نظرنا إلى معنى التصيير، لأنه بمنزلة المسكوت عنه الذي يتعمد في كشفه على ذكاء المتكلم،نحو: جعل الله الثواب والعقاب، هنا يلتبس معنى التصيير بمعنى (وضع)، ولكن إذا نظرت إلى معنى التصيير يكون المعنى: جعل الله تعالى ما لم يكن ثوابا وعقابا، ثوابا وعقابا، وإن كان الوضع الأول عندما، فهذا يدل على سرعة التصيير في أثناء الخلق.
4- الجملة التي يأتي فيها المفعول الثاني مصدرا في جملة تحويلية يحل فيها المصدر محل الحال، فيؤدي وظيفتين نحويتين هما: توكيد الفعل (جعل)، ووصف المفعول الأول؛ لذا يجذبه إليه فيتحد به، فيوهم أنه أصبح مفعولا ثانيا، فيظل المفعول الأول مسكوتا عنه. نحو: جعلت الطين صلبا، أي: كان لينا ثم صيرته صلبا.

فأما الجملة القاعدية الأصل ،فقد وردت في القرآن الكريم كثيرا منها قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٤٨]،وقوله تعالى:﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[٤٩].

نلحظ أن المفعول الثاني في جملة (جعل) هو (غُثاء، وهَبَاء)، فأمّا (الهباء) فهو اسم يطلق على دقائق التراب وما ينبث في الهواء، فلا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس في الكوة[٥٠].

وأما الغثاء، فهو وإن كان له وزن المصدر ،بيد أن صيغته تدل على الاسم، جاء في معاني القرآن للفراء (ت207هـ) : ((كل مصدر اجتمع بعضه إلى بعض مثل: القماش، والدقاق، والغثاء، والحطام، فهو مصدر ويكون في مذهب اسم على هذا المعنى))[٥١].

وأشار الدكتور فاضل السامرائي إلى أن ((جذاذ وفتات، وحطام، ليس مصدرا، وإنما هو اسم لها بمعنى المفعول...))(٥٢). وهذه أسماء لأشياء تبين ما تحوّل إليه الشيء الأول، وهو في الآيات الضمير (هم). أي أننا نلحظ أن هنالك شيئا تحوّل إلى شيء آخر على النحو الآتي:

هم = هَبَاء

هم = غُثَاء

وطرفا المعادلة محسوسان، وهما يؤلفان إسنادا تاما، من مبتدأ وخبر، وقد جاء الفعل (جعل) ليغير حكم الطرفين المبتدأ والخبر، إلى مفعول أول ومفعول ثانٍ.

وبهذا أدى الفعل وظيفة نحوية شكلية؛ النصب في كلا الطرفين، وأدى وظيفة معنوية هي تصيير الأول إلى الثاني، لكن هذا الوضوح في الوظائف يقلّ حتى يصبح كشفه بحاجة إلى تأمل وطول نظر،إذا جاء المفعول الثاني بهيأة جار ومجرور، فيحتاج إلى فعل يتعلق به، أو مشتق واصف.

فأما مثال المتعلق الجار والمجرور، فيظهر في قوله تعالى: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ <u>يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ</u> مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)(٥٣).

فجملة (يجعلون أصابعهم في آذانهم)، جاءت غامضة، ذلك أن الأصابع ≠ الظرف (في آذانهم). وهنا يقع المتلمس لمعنى (جعل) في تهويش،فمن جعل (في آذانهم) ظرفا فإنه لابد من أن يلتمس له فعلا ليعلقه به، فلم يجد إلا الفعل (جعل)، فيكون الجار والمجرور من متممات الفعل (يجعلون)، وبهذا يصبح الفعل (جعل) متعديا إلى مفعول واحد، فيُوهم بأنه أقرب إلى الفعل (يدخلون أو يضعون)، حتى يلتبس المعنى عند بعض المفسرين، فلم يفرّق بين الجعل والإدخال، قال الآلوسي: ((في ذكر الجعل موضع الإدخال فإن جعل شيء في شيء أدل على إحاطة الثاني بالأول من إدخاله فيه))(٥٤).

والملاحظ أن الإحاطة يحددها معنى (في) الظرفية، ولا فرق بهذا التحديد بين (جعل في)، و(أدخل في)، أو (وضع في)، فكلها تدل على إحاطة. وهنا يُغلق باب التحليل اللغوي؛ لأنه لا يوصل إلى المعنى المقصود، وينفتح باب الحدس والتذوق الذي يبرع فيه أبو السعود في تفسيره للآية الكريمة قائلا: ((وإيثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة، واستمرار الاستقرار على الإدخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج إلى الداخل للمبالغة في بيان سدّ المسامع باعتبار الزمان))(٥٥). ويقوي هذا المعنى الدلالة الصوتية لتكرار العين في (يجعلون اصابعهم) وهي صوت مجهور له وقع عالٍ على حاسة السمع يكسبه إسماعا عاليا يقويه صوت الباء الإنفجاري(٥٦). وهذا يوحي بصوت القعقعة والتكسر

وهذا هو المعنى المقصود الذي يصوّر تشويه الأصابع شكلا وحجما لتأخذ طريقها عبر الزمان حتى تستقر في جوف الأذن، لتؤلف صورة تخيلية تعبر عن حقيقة نفسية بأسلوب بليغ يوحي بمعانٍ كثيرة منها شدة الخوف والقلق، فضلا عن

السخرية بمن فعل هذا الفعل ليتجنب به مكروها ما؛ لأنه غير مجدٍ وذلك عند النظر إلى خاتمة الآية الكريمة (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ).

وهنا ننتقل من اللغة الشيئية أو الأولية Object Language إلى اللغة من المستوى الثاني أو الميتالغة (ما وراء اللغة)، التي تتحدث عن الممكن الذي يشترع صدقه من منطق اللغة عند قبول المعنى[٥٧].

وإذا أردنا أن نتوصل إلى المعنى عن طريق التحليل، نعود بالتركيب إلى أصله الأول قبل دخول الفعل (جعل) فيكون كالآتي: (أصابعهم في آذانهم).

وهنا نضطر إلى تعليق الخبر (في آذانهم) بحدث فعلي أو اسمي يتضمن الحدث: (تستقر، أو مستقرة)، وبإدخال الفعل (جعل) على الجملة يتضح تصيير الأصابع وتحويلها من حال الاستقرار خارج الأذن إلى حال الاستقرار في الأذن، لتتكون صورة توحي بالمعنى الذي توصل إليه أبو السعود.

وعلى هذا الأساس يكون الفعل (جعل) ذا خصوصية تصويرية لا يستطيع تصويرها أي فعل يُرى أنه مرادف نحو: (يدخلون، أو يضعون)، فضلا عن أن معنى الصيرورة في الفعل (جعل) يناسب مفردة (الأصابع) لكبر حجمها وضيق فتحة الأذن، في حين تناسب الفعل: (أدخل أو وضع) لفظة (الأنامل)، ذلك بأن الإدخال أو الوضع لا يتضمنان التحويل في شكل الشيء الموضوع أو المدخل، فلا تناسب بين الفعلين (وضع أو أدخل) والمفعول (أصابع)، إذا بقي (إصبعا)، إلا إذا قلنا بقول البلاغيين بأن الأصابع مجاز مرسل: (الكل ويراد به الجزء)، ليحصل التناسب في حال تصور معنى الإدخال أو الوضع، إذ لا يجوز هذا بتصور معنى الجعل الدقيق، الذي يولد صورة تخيلية فيها إيماء إلى ((كمال حيرتهم [الكفار] وفرط دهشتهم وبلوغهم إلى حيث لا يهتدون إلى استعمال الجوارح على النهج المعتاد))[٥٨]، بحسب تعبير أبي السعود.

وأما مثال مجيء المفعول الثاني بهيأة مشتق فيظهر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٥٩].

نلحظ أنه لا إشكال في جملة: (أجعل هذا بلدا آمنا)، من الآية (126) لورود المفعولين من الذوات، الأول: (هذا)، وهو المكان الموحش المشار إليه، والذات الأخرى: هي (البلد). ويدل الوصف (آمن) على أن المشار إليه كان غير آمن قبل التصيير، قال العكبري (ت616هـ): ((أجعل، بمعنى: صيّر، و"هذا" المفعول الأول، و"بلدا" المفعول الثاني، و(آمنا) صفة للمفعول الثاني))[٦٠].

ولكن الإشكال في جملة الاستجابة للدعاء في الآية (125)، في قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة وأمنا﴾. وفيها تصييران هما:

الأول: جعلنا البيتَ مثابة

والآخر معطوف عليه عطف نسق: جعلنا البيت أمنا.

وقد اختلف النحاة والمفسرون في تحديد معنى (جعل) في الجملة الأولى، بسبب اختلافهم في تحديد وظيفة المنصوب الثاني (مثابة)، فمنهم من قال إنه مفعول ثانٍ وفيه يظهر معنى التصيير، قال الكعبري: ((و"جعل" ها هنا يجوز أن يكون بمعنى صيّر..))(٦١).

وقال أبو السعود: ((والجعل إما بمعنى التصيير، فقوله تعالى:"مثابة"، أي: مرجعا يثوب إليه الزوار بعدما تفرقوا عنه، أو أمثالهم، أو موضع ثواب يثابون إليه بحجه واعتماره، مفعوله الثاني..))(٦٢).

ومنهم من قال غير ذلك،لأن (مثابة) اسم مكان مخصوص للإثابة (٦٣)، أي أنه موصوف بها، وهذا الوصف يجعل المكان مهيّأ للاتحاد بالذات المعرفة (البيت)، ذلك أن الصفة والموصوف شيء واحد، وهذا الاتحاد يقوّي علاقة (مثابة) بالمفعول الأول، فتصبح الصفة المنكرة حال البيت في أثناء الجعل. فيوهم التركيب الجديد بأن الفعل أصبح متعديا إلى مفعول واحد، لذلك يلتبس بمعنى: خلق، أو وضع، أو بمعنى الإبداع، فهو حال من مفعوله(٦٤).

لكن لا يعوض أي من البدائل هذه معنى (جعل) وصورته الحركية، إذا نظرنا إليه بأنه فعل مختار من بين البدائل لأداء معنى مقصود، هو تحويل البيت من صورة إلى صورة أخرى مختلفة عن الأولى، ولنا في تحديد المعنى طريقان: الأول: أن نعرب (مثابة) حالا، وهذا يوحي باتحادها بالمفعول الأول، فيكوّن معه الصورة الثانية للبيت، ومن وصف هذه الصورة نستدل على الصورة الأولى للبيت، وهي المفعول الأول للفعل (جعل)، وقد حذف لوجود دليل عليه فيكون الكلام كالآتي:

جعلنا ما لم يكن مثابة، مكانا للإثابة.

أما الطريق الأخرى لتحديد المعنى، فهي أن نعرب (مثابة) (حالا) حلت محل المفعول الثاني، فأدت وظيفتين نحويتين في وقت واحد، هما: وظيفة الحال، ووظيفة المفعول الثاني، الذي يصور لنا الصورة الثانية للتصيير، وذلك لشبه الحال بالمفعول عموما، أي أنها تخدم الفعل، قال ابن يعيش (ت643هـ): ((الحال... تشبه المفعول على سبيل العموم... ولا تخص مفعولا من دون مفعول، ولها شبه خاص بالمفعول فيه، وخصوصا ظرف الزمان...))(٦٥). وبهذا نقدر مفعولا ثانيا من الذوات يلائم الوصف ليتضح التصيير في الذهن، فالوصف بهذا التحليل ليس للبيت في صورته الأولى، وبل وصف له في صورته الثانية، ويكون تقدير الكلام كالآتي:

وجعلنا البيت غير الموصوف بالاثابة بيتا موصوفا بالإثابة.

وكلا التقديرين يبقي معنى التصيير قائما، وهو المعنى المقصود؛ ذلك بأن خلافه يتعارض مع معاني آيات أخر سنبينها بعد تحليل جملة (جعل) الثانية:

- (جعلنا البيتَ أمنا)

وفيها حلّ المصدر (أمنا) محل الحال (آمنا)، الوارد في دعاء إبراهيم A في

قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾(البقرة:126)، فجاءت الاستجابة أعظم من الرجاء بإبدال الصفة (آمن) بالمصدر (أمنا)، والدعاء ليس فيه مشكلة؛لأنه يمكن أن يحلل تحليل الجملة الأولى التي وردت فيها لفظة: (مثابة)، لكن المشكلة في الفهم تظهر عند حلول المصدر بدلاً من الحال، وبإرجاع الجملة إلى أصولها التحويلية يمكن الاهتداء إلى حلّ مشكلة المعنى على النحو الآتي:

- جعلنا البيت غير الآمن بيتا آمنا (وبحذف المفعول الثاني (بيتا) وهو اسم ذات،نحصل على الجملة الآتية).

- جعلنا البيت آمنا. (وبتبديل الحال (آمنا) بالمصدر (أمنا)، نحصل على الجملة الآتية).

- جعلنا البيتَ أمنا.

نلحظ في الجملة القرآنية الأخيرة أن المصدر حل في موقع الحال، وهو جائز قال ابن يعيش: ((يقال: أتيته ركضا، وقتلته صبرا، ولقيته فجأة وعيانا... فهذه المصادر وشبهها وقعت موقع الصفة، وانتصبت على الحال))(٦٦).

والمصدر إذا وقع موقع الحال أدى وظيفة الحال، فكان في خدمة صاحب الحال، وهو في الوقت نفسه يكوّن علاقة قوية مع الفعل (جعل) إذ يؤكده، قال ابن يعيش:((وكان أبو العباس يجيز هذا في كل شيء يدل عليه الفعل، فأجاز، أن تقول: أتانا رُجلة، وأتانا سرعة، ولا يقال: أتانا ضربا، ولا: أتانا ضحكا؛ لأن الضرب والضحك ليسا من ضروب الإتيان))(٦٧).

وكذلك (الأمن) فهو ضرب من ضروب الجعل، فهو يؤكد الفعل، ويؤدي وظيفة الحال للاسم قبله (المفعول الأول) في الوقت نفسه وحلوله مكان الحال للمبالغة، فيصوّر في الذهن حال البيت في أثناء الجعل، ولكنه يوحي بالاتحاد بالمفعول الأول ليعطينا صورة للوضع الجديد للبيت، ويمكن أن نستدل على الوضع الأول للبيت بأنه لم يكن آمنا. وهذه الصورة هي المفعول الأول للفعل (جعل)، وهو مسكوت عنه؛لأنه مفهوم من السياق على النحو الآتي:

- وجعلنا البيت غير الآمن بيتا آمنا

ولم تعد هناك حاجة إلى وضع بدائل للفعل (جعل) بسبب حذف المفعول الأول، ذلك أن معاني البدائل: خلق، ووضع، وأبدع، تخالف معاني نصوص قرآنية أخرى وردت بهذا الشأن، ذلك أننا نعلم أن البيت الحرام موجود في وادٍ غير ذي زرع، فهو في بيئة قاسية موحشة غير آمنة، وذلك ما تشير إليه الآية التالية من دعاء إبراهيم A (البقرة:126)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٦٨).

وبهذا التوجيه يجب القول بمعنى التصيير الموافق للاستجابة لدعاء إبراهيمA

بتحويل البيت من حال القفر وجفاء الناس، إلى حال الغنى وحب الناس له ولأهله، على حين ظل ما حول البيت غير آمن لعدم شموله بالدعاء، قال تعالى﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾(٦٩).

وهذه الآية الكريمة تؤكد تحويل البيت من دون ما يحيط به ليكون معنى التحويل أشد وأبلغ وأوقع لخضوعه تحت الملاحظة الحسية، ولو أعربنا (مثابة، وأمنا) حالين فقط من دون ضم معنى التصيير، لما كان لدعاء إبراهيم A بالتحويل معنى، ولما كانت المفارقة أبلغ بين أمن البيت وعدمه فيما حوله.

وخلاصة القول إننا فهمنا كيف ينجذب الوصف إلى المفعول الأول، فيتحد به ليكوّن معه مفعولا ثانيا يستدل به على المفعول الأول، أي أننا من الوصف الثاني نستدل على وصف الأول المحذوف؛ لأنه سلب له، أو نستدل على الذات المتحولة من الذات في وصفها قبل التحويل فنسندها إلى الوصف، بالاعتماد على ذكاء المتلقي لتكتمل عناصر جملة(جعل)، وفي هذا الاكتمال نتصوّر معنى التصيير.

بعد أن عرفنا طريقة الاستدلال على المفعول الأول في الجمل السابقة، لم نجد ثمة صعوبة في تصوره، إذا حذف وإن لم يستدل عليه بالوصف، وذلك في قوله تعالى مثلا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(٧٠). وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾(٧١).

إن تركيب هاتين الآيتين المعتمد على مفعول واحد جعل النحويين واللغويين يميلون إلى إلغاء معنى التصيير(٧٢)، لعدم اتضاح طرفي التحويل من حال إلى حال أخرى في الذهن، بسبب حذف الوضع الأول للشيء المتحول، وبهذا سهّل عليهم إبدال الفعل (جعل) بما تصوروه مرادفا:أوجد، أو خلق، أو فرض، أو أوجب، وغيرها، مما يتعدى إلى مفعول واحد. لكن كل هذه البدائل لا تلبي المعنى المقصود الذي يصوره الفعل (جعل)، لذلك يكون معنى الآيتين كالآتي: (وجعلنا الظلمات والنور)، أي: صيرناهما ظلماتٍ نورا، من بعد أن لم يكونا كذلك، أما حالهما الأولى فمسكوت عنه ولا نعلم عنه شيئا، فربما كان النور غير مدرك ،كأن يكون أشعة تحت الحمراء أو فوق البنفسجية، فنراه ظلمة، فصيّره الله تعالى مدركا بالأبصار.

ويكون معنى (جعلنا حرما آمنا)، أي: صيرناه آمنا بعد أن كان غير آمن.

ويعتمد هذا التقدير على مقدرة المتلقي بما لديه من شروط نفسية واجتماعية وما لديه من آراء وخبرة وتوقعات خاصة، ويمكن القول أيضا: إن منتج الخطاب قد حذف الوضع الأول للشيء المصيّر معتمدا على ذكاء المتلقي وخبرته في تقدير المحذوف، وكل ذلك ينطلق من النص بوصفه وسيلة اتصال، لذا يدرس من وجهة نظر تداولية تضع في حسبانها ثلاثة نماذج: المتكلم والمستمع ونظرية المقام أو الموقف(٧٣)، التي تتضافر في جعل جمل الكلام محبوكة كحلقات السلسلة، وهنا نحتاج إلى أدوات يلجأ إليها المتكلم يراعي فيها وحدة الغرض (٧٤)، أو التماسك المعنوي أو الحبك.

وقد اتضحت نظرية المقام عند بعض المفسرين في توجيه معنى التصيير، في قوله تعالى: ﴿ حم *وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ *إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٧٥] . في هذه الآية الكريمة نجد أن حال القرآن قبل أن يصير عربياً أمر مسكوت عنه؛ ولذلك سنتوقع ظهور اختلاف في معنى (جعل) بحسب تحديد مفاعيلها فإذا عديت إلى مفعولين الأول: هو (الهاء) العائدة على القرآن الكريم، قبل تصييره عربياً، والآخر: هو القرآن الكريم بعد تصييره عربيا، هنا تكون (جعل) بمعنى صيّر، أما إذا أعربنا (قرآناً عربياً) حالاً، فيكون الفعل مُعدّى إلى مفعول واحد هو (الهاء)، وتكون صيّر بمعنى خلق، إذا لم نتمكن أن نتخيل المفعول الأول المحذوف.

وقد ذكر الرأيين كليهما الزمخشري، ولم يرجح أحدهما قائلا: ((جعلناه: بمعنى صيرناه، معدّى إلى مفعولين، أو بمعنى: خلقناه معدّى إلى واحد،كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾[٧٦]، و(قرآنا عربيا)، حال...))[٧٧].

أما ابن حيان الأندلسي فقال بمعنى صيّر وسمى [٧٨]، وقد رجح البيضاوي(ت791هـ) معنى التصيير في قوله: ((.... أو بيّن للعرب ما يدل على أنه تعالى صيّره كذلك))[٧٩].

وكان الآلوسي أوضح منهم في تأكيد معنى التصيير محكما سياق الحال، قال: ((والجعل: بمعنى التصيير المعدى لمفعولين لا بمعنى الخلق المعدى لواحد، لا لأنه ينافي تعظيم القرآن، بل لأنه يأباه ذوق المقام المتكلم فيه؛ لأن الكلام لم يُسَق لتأكيد كونه مخلوقا، وما كان إنكارهم متوجها عليه، بل هو مسوق لإثبات كونه قرآنا عربيا مفصلا واردا على أساليبهم لا يعسر عليهم فهم ما فيه...))[٨٠]..

نلحظ أن الآلوسي في الاستناد إلى قرينة المقام أو موقف المتكلم من المخاطب، تجاوز قضية قدم القرآن أو حدوثه، وقال بقدمه: إنه كان غير مفصّل بلغة العرب، ثم فصّل على وفق أساليبهم ليلائم فهم العرب.أما حاله قبل أن يصير عربيا فقضية غيبية لا ينبغي الحديث عنها رجما بالغيب.

ومن الآيات التي يمكن توجيه معنى التصيير فيها من ملاحظة سياق النص وسياق الحال أو المقام الكلامي، قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾[٨١].

ويمكن أن نستدل على معنى التصيير في جملة (جعل) بالرجوع إلى الجملة الأصل قبل التحويل:

أكنة على قلوبهم

تتألف هذه الجملة من عنصرين: مبتدأ (أكنة)، وخبر (على قلوبهم). والخبر إذا جاء بهيأة ظرف أو جار ومجرور يكون متعلقا بحدث فعلي: (تستقر)، أو أسمي(مستقرة). وتصور هذا الحدث مهم؛ لأنه يمنعنا من تعليق الجار والمجرور بحدث الجعل، ولاسيما إذا حذف حدث الاستقرار،وقدم الجار والمجرور ليكون

مجاورا للفعل(جعل)، وبهذا التحليل نحافظ على معنى (جعل)، وهو التصيير لتكون الجملة كالآتي:

ـ وجعلنا أكنة مستقرة على قلوبهم

ـ أي صيرنا أكنة مستقرة على قلوبهم

وهذا ما توصل إليه غير واحد من المفسرين النحويين، ومنهم ابن حيان الأندلسي بقوله: ((وجعل هنا: بمعنى صير، فتتعلق بمحذوف، إذ هي في موضع المفعول الثاني، ويجوز أن تكون بمعنى خلق فيكون في موضع الحال؛لأنها في موضع نعت، لو تأخرت، فلما تقدمت صارت حالا...))[٨٢].

ولما كان ابن حيان نحويا أخذ بالسياق النحوي وحده، فأبدل معنى الجعل بالخلق،ولكن هذا الاحتمال، يُلغى عندما يُنظر إلى التناسب المنطقي أو حبك المعنى، بالاعتماد على ظروف الكلام الخارجية، فخلق الأكنة المنسوب إلى الله تعالى، يصادر حرية المخلوق، وذلك ما لحظه الفخر الرازي قائلا: ((إنه تعالى لو منعهم من الإيمان ثم دعاهم إليه لكان ذلك تكليفا للعاجز، وهو منفي بصريح العقل، وبقوله تعالى: ﴿ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[٨٣]...إن هذه الآية وردت في معرض الذم لهم على ترك الإيمان، ولو كان هذا الصد والمنع من قبل الله تعالى، لما كانوا مذمومين بل كانوا معذورين))[٨٤]. ذلك أنهم تركوا قلوبهم مهيّأة لهذا الاستقرار، فلم يعمروها بالإيمان؛ ولذلك يكون تأويل الزمخشري لأثر الفعل جعل بأنه ((للدلالة على أنه أمر ثابت منهم، لا يزول عنهم فهم مجبولون عليه))[٨٥]، يكون تأويلا بعيدا عن معنى الصيرورة، إلا إذا كان معنى الثبات يصور نهاية الصيرورة التي فعلها تعالى بالكفار، لتقبلهم هذه الحال، قال الزمخشري: ((أو هي حكاية لما كان ينطقون به قولهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾[٨٦]...))[٨٧]، أي أن الله تعالى ((لما فوض أمرهم إلى أنفسهم لسوء صنيعهم لم يبعد أن يضيف ذلك إلى نفسه فيقول:(وجعلنا على قلوبهم أكنة)...))[٨٨].

وهذا يدل على أن غير واحد من المفسرين قد ملئت أذهانهم بما هو مسكوت عنه، وهو الصورة الأولى للأكنة قبل الجعل، وقد استدل عليها الزمخشري بأنها قبل استقرارها على القلوب كانت بهيأة وقر في الآذان، أو بهيأة حجاب للرؤية، وقد ذهب الطوسي إلى أبعد من هذا إذ رأى أن إحداث شيء أو خلقه يعد جعلا يتضمن معنى التصيير، قال: ((والجعل وجود ما، به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها، فتارة يكون بإحداثه وأخرى بإحداث غيره))[٨٩].

لكن لماذا لم يجزم المفسرون بمعنى التصيير، فراحوا يعطون فعل الجملة الرئيس معاني غير محددة منها: ألقى، وأنشأ، وخلق، إلى غير ذلك؟. لعل ذلك يرجع إلى صعوبة الوصول إلى المعنى في صورته الشاملة، التي يتضافر فيها المعنى الوظيفي للنحو، والمعنى المعجمي لمفردات جملة (جعل)، والمعنى الاجتماعي، وتأتي الصعوبة في هذا المجال من أن المباني الصرفية الواحدة تصلح لأكثر من

معنى[٩٠]. وذلك ما وجدناه في جملة (جعل) ولاسيما حين يأتي المفعول الثاني ليس ذاتا، بل يأتي مشتقا واصفا أو مصدرا، فتتعقد الجملة حتى تصبح أسلوبا قرآنيا متميزا يتخلخل فيها المفعول الأول لـ (جعل) فينزاح فيوهم أنه أصبح مفعولا ثانيا فيؤثر ذلك في معنى التصيير، الذي يتطلب مفعولين، فيلجأ المفسر إلى السياق المقامي ليحدد هذا المعنى القوي، ولكن يصعب ربطه بالسياق النحوي الذي يلطف فيه معنى التصيير حتى يخفى على كثير من العلماء. وقد توصلنا إلى كشف المبنى المحذوف أو المسكوت عنه بتأكيد معنى التصيير بافتراض أن الله تعالى قد اختار الفعل (جعل) اختيارا دقيقا لمعناه الخاص، فلا يصحّ غيره أن ينوب عنه، إذ جاءت أفعالا تسبقه في آيات كثيرة تؤكد العدول إلى الفعل (جعل)، منها:

قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾[٩١].فهذا الآية قد عدلت عن الفعل (خلق) إلى الفعل (جعل) لأداء معنى مقصود، وإلا فعطف النسق أوجز،لو أراد الله تعالى معني (خلق). وكذلك قوله تعالى: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ *قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾[٩٢]، ثم عدل سبحانه عن الأفعال: اقتلوا، واطرحوا، وألقوه، إلى الفعل (يجعل) في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾[٩٣].

نلحظ أن النص القرآني قد انتهى فيه التركيب إلى مثال أسلوبي معين، ويمكن أن نعود بالجملة إلى ما قبل التأسلب، أي درجة الصفر بالكتابة، أو الكتابة المحايدة[٩٤]،عن طريق رسم جدولين للآية الكريمة على النحو الآتي:

جدول الاختيار

اقتلوا

اطرحوا

ألقوه

جدول التركيب

وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب

نلحظ أن الأفعال الواردة في السياق السابق هي:القتل والطرح والإلقاء، ويحتمل جدول الاختيار أفعالا أخرى تتداعى في الذهن ويمكن أن تترشح لتستعمل في ضمن جدول التركيب، منها: أنزلوه، وادفعوه، واجعلوه، فلماذا عدل الاستعمال القرآني عن الأفعال الواردة في السياق السابق للآية الكريمة (15)، والأفعال المحتملة على المحور الاستبدالي أو الاختياري، إلى الفعل(جعل) من دون غيره؟

إنّ اختيار الفعل (جعل) هو اختيار حر؛ لأنه ممكن من بين الممكنات، انتقل فيه الفعل (جعل) من حيز الوجود بالقوة، إلى حيز الوجود بالفعل. أما الأفعال الأخرى فليست غائبة أو معدومة، بل غائبة محتملة تعطي الفعل (جعل) الموجود

شهادة على أسلوبية الجملة، فكأن وجودها في جدول الاختيار تذكير بالمعيار في أداء الكلام الاعتيادي، وإن استعمال الفعل (جعل) مكانها خروج عن المعيار لأداء كلام فني غير اعتيادي[٩٥]. ذلك أن الآية الكريمة لخصّت آراء أخوة يوسف A، المتضادة التي امتدت بين الرأي المتطرف بالقتل، والرأي الحسن غير المتطرف.وقد سمّت العرب زبدة الرأي في المواقف العصيبة (جعالة)، وجمعها ((جعالات [وهو] ما يتجاعل الناس بينهم عن بعث أو أمر يحزبهم من السلطان))[٩٦]،

وبهذا تدل كلمة: (أن يجعلوه) على صناعة تحويلية في الرأي النهائي المنسوج من آراء أولية متنوعة أو متناقضة، قال ابن حيان: ((ويجوز أن تكون "أو" للتنويع، أي: قال بعض اقتلوا يوسف، وبعض: أطرحوا))[٩٧].

نعم أن هناك تنويعا في الآراء المتضاربة، ولكنهم صيروها رأيا واحدا أجمع عليه كل الأخوة، وبهذه الموازنة التي تصوّر أن العدول إلى الفعل(جعل) كان مقصودا، فهو يعبّر عن صناعة عن علم تحوّل حال يوسف من الحضور إلى الغياب، ويظهر فيه العلم والتدبير الدقيق؛ لأنه مشروط بعدم الإهلاك بدلالة سياق الآية الكريمة﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾[٩٨]. وهذا أحد الآراء قبل الجعل، ولما كان الإلقاء مشروطا بعدم الإهلاك، لجأوا إلى الجعل، فالسياق المقامي يحكم أن هنالك جعلا، لكن كيف نعيد لجملة(جعل) عناصرها المختفية في سياق النص؟ وقد أوهم هذا الحذف كبار المفسرين حتى التبس معنى (الجعل) بمعنى الإلقاء، فلم يكن الطوسي واضحا في كلامه،إذ قال:((المراد أنهم اتفقوا على إلقائه في غيابة الجب. والجعل والتصيير والعمل نظائر في اللغة))[٩٩]. فكأنه رادف معنى(جعل) لمعنى (ألقى)، ثم تدارك ليوضح معنى الجعل، ولكنه ظل في مستوى المعجم ولم يجز به إلى مستوى النحو.

ولم يرجح ابن حيان أحد المعنيين في قوله: ((وأحتمل أن يكون الجعل هنا بمعنى الإلقاء وبمعنى التصيير))[١٠٠]، ذلك أن الإسناد تراءى بأنه اكتفى بمفعول واحد ظاهرا، وإذا أردنا أن نكشف المحذوف نبسط الجملة إلى ما يأتي:

يوسف في غيابة الجب

ـ مبتدأ + شبه الجملة (في غيابة الجب) خبر متعلق بمحذوف: (مستقر/ أو يستقر)، وهذا التعليق يمنعنا من تعليق (في غيابة) بالفعل (جعل) فيوهم أنه أصبح (ألقى)، ويفيدنا أيضا بإعطائنا صورة تصف حال يوسف A بعد التصيير، التي نستدل منها على حاله قبل التصيير على النحو الآتي:

جعلوا يوسف مستقرا أو غائبا في غيابة الجب

وهذا يعني أنه لم يكن مستقرا فيها في حال ما قبل الجعل، فالظرف (في غيابة) هو سبب هذا التوهم؛ لأنه يطلب تعليقا وإذا لم نرجع إلى الجملة الأصل قبل التحويل، سنخطئ عندما نعلّقه بالفعل (جعل).

وإذا وجدنا أن حدث الاستقرار غير مستساغ، فإننا يُمكن أن نشتق من اسم

المكان (غيابة) حدثا، لتضمن اسم المكان معنى الوصف، قال الزمخشري: ((غيابة الجب، وهي ما غاب منه عن عين الناظر، وأظلم من أسفله))(١٠١). وكذلك يحمل هذا اللفظ الوصف عند ابن منظور، قال: ((العرب تسمي ما لم تصبه الشمس من النبات كله الغَيْبان بخفيف الياء، والغَيابة كالغَيْبان... ووقعوا في غَيابة من الأرض، أي في منهبط منها))(١٠٢). فغيابة الجب وإن كانت توحي بأنها اسمٌ لظرف مكان، إلا أنها موصوفة، لذلك يمكن أن نشتق منها حالا يتعلق بها الجار والمجرور (في الجب)، فتكون البنية العميقة للجملة كالآتي:

أن يجعلوه مغيبا في الجب

فينقطع الجار والمجرور (في الجب) عن التعلق بالفعل (جعل)، والفعل(ألقى) أيضا، ونحصل على جملة تحويلية متحولة من الأصل الآتي:

1- ألقوه في الجب(الجار والمجرور متعلق بالفعل ألقى).
2- ألقوه مغيبا، أو فيما غاب من الجب: فالجار والمجرور(من الجب) يتعلق بالفعل غاب المستوحى من الوصف"غيابة"، أو يتعلق بفعل مشتق منه: غاب، وقد أدى وظيفة الحال المؤكدة)(١٠٣). وكأن المكان هو الفاعل الدلالي الذي تولى عملية التصيير، فهو المنفذ غير المباشر للفاعل الحقيقي للفعل جعل:وهو واو الجماعة العائدة على أخوة يوسف A.

وهنا يتضح معنى التصيير في حال يوسف A، من حال يرى فيها النور إلى حال غيابه عن عين الناظر فيما أظلم من الجب، ومن حال إقبال أبيه عليه، إلى حال فراقه عنه، ومن حال الحرية إلى حال العبودية (يلتقطه بعض السيارة)، ومن حال الإنتاج إلى حال: أصبح فيه سلعة تباع. فالجعل إذن هو صناعة عن علم تغيّر صورة المجعول، بحيث لا يتجاوزه إلى مرحلة الإعدام.

وقد صوّر هذا التركيب المعقد لجملة (جعل) ذكاء أخوة يوسف A المستعمل في نطاق الشر، وتصور مدى الأذى الذي تعرض له، وربما كان القتل أقل وطأة من التفنن بهذا بالإيذاء، أي أن تركيب جملة جعل في قصة يوسف A مبني بناء خاصا يُصوّر شخوص القصة من الداخل بدقة بأوجز الألفاظ. وكذلك تختتم قصة يوسف A بجملة (جعل) وهي من أكثر الجمل تعقيدا، وتعبيرا عن المعاني الدقيقة، التي تربط نهاية القصة ببدايتها، وتربط الحلم بالحقيقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾(١٠٤).

لحظنا أن معنى جعل يتغير عند المفسرين بحسب توجيه الإعراب، ولا يتضح جليا إلا إذا جاء بعدها مفعولين من الذوات، أما إذا حل محل المفعول الثاني جار ومجرور أو ظرف، فإنهما يوهمان بتعليقهما بالفعل (جعل) فيختفي المفعول الثاني عندهم، فيقدرون أفعالا تتعدى إلى مفعول واحد، وكذلك إذا جاء المفعول الثاني مشتقا فيلتبس بالحال فتقوى علاقته بالمفعول الأول حتى يتحد به ويحوله إلى مفعول ثانٍ، ثم تتعقد جملة (جعل) إذا جاء مفعولها الثاني مصدرا، لأن المصدر يقوي علاقته بالفعل

(جعل) فيصبح مؤديا لوظيفة التأكيد، فتلطف وظيفة الحال. وفي كلّ الأحوال يلجأ المفسرون إلى تبسيط الجملة بإحلال فعل متعدٍ إلى مفعول واحد، وإذا كان معنى التصيير قويا في الذهن من القرائن الاجتماعية المقامية، فإنهم يعطون للجملة معنيين، أولهما: التصيير الذي يوافق القرائن المقامية، وثانيهما: يوافق القرائن اللفظية في الإسناد.

والجملة في الآية (100) من سورة يوسف، من أعقد الجمل، وقد فصل الآلوسي فيها القول بحسب الجدول الآتي(١٠٥):

الآية الكريمة	المنصوب الأول	المنصوب الثاني	معنى جعل
قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا	الهاء العائدة على الرؤيا	حقا: مفعول ثانٍ	صيّر
		حقا: حال بمعنى صادقة	وضع
		حقا: صفة لمصدر محذوف من لفظ الفعل، أو من غير لفظه، وتعرب مفعولا مطلقا ناب عن فعله	حقق

فأما إعراب (حقا) على أنها حال، فإن معنى الآية الكريمة يكون :إن الله قد جعل رؤياي صادقة، أي: ((رأيت ما يقع في المنام يقظة لا باطل فيه ولا لغو..))(١٠٦).

وأما إعراب (حقا) على أنها مفعول مطلق، فإنه يقتضي تقدير محذوف من لفظ المفعول المطلق، أو بلفظ مرادف، يجعل الفعل (جعل) مرادفا إلى الفعل(حقق)، وهذا جائز لأن التحقيق نوع من أنواع الجعل الممكنة، مثل: جاء ركضا، فالركض نوع من أنواع المجيء، وأما من قال بالتصيير، فقد ترك المعاني النحوية وحسم الأمر بالمعنى الاجتماعي المفهوم من المقام.

لكن يمكن ربط المقام بالمعنى النحوي، من دون إعراب (حقا) مفعولا ثانيا للفعل (جعل)، بل عندما ننظر إلى التحويلات التي حصلت في المفعول الثاني، حتى نصل إلى ما وصل إليه الأسلوب في الآية الكريمة، ليتضح التوسع بالمعنى من أسلوبها؛ وذلك أنك إذا عبّرت بالاسم (حقيقة)، فقد أردت معنى واحدا هو التصيير، أما إذا حلّ المشتق محل الاسم (متحققة)، فهو يدل على الحال، وعلى سرعة التصيير، وفي هذا التحويل يحصل اتحاد بين المفعول الأول (الرؤيا) ووصفها، فيظهر المفعول الأول وكأنه حذف،ولكننا نستدل عليه من التضاد في الوصف: (رؤيا غير متحققة تحولت إلى رؤية متحققة)، أي أن التركيب الجديد يستحضر صورة الرؤيا وقت سجود أخوة يوسف للمقارنة، ولذلك تسمى هذه الحال بالحال المقارنة (١٠٧)، وهي الغالبة، نحو: أقبل أخوك ضاحكا، فالضحك مقارنا للإقبال، وكذلك في الآية الكريمة، يكون زمن جعل الرؤيا مقارنا للتحقيق، وهذا يتضمن تكثيفا لعقود من الزمن: زمن الرؤيا في الطفولة، وزمن تحققها بعد أصبح يوسف A عزيز مصر.

ثم عدل الأسلوب من الوصف المشتق إلى المصدر، وهذا يصحبه عدول من

معنى إلى معنى، وكلاهما مطلوب، فجملة: (جعلتُ الرؤيا حقا)، وإن كان التأويل: (جعلتها متحققة)، لا يطابقه في المعنى، إنما يعدل من الوصف إلى المصدر لغرضين:

الأول: المبالغة؛ لأن المصدر هو الحدث المجرد من الذات والزمن، والوصف هو الحدث مع الذات، لذا يمتنع الإخبار بالمصدر عن الذات، فلا نقول: محمد سعيٌ، بل :محمد ساعٍ، فإن قلت: أقبل أخوك سعيا، كان المعنى أن أخاك تحول إلى سعي، ولم يبق فيه شيء من عنصر الذات، أي لم يبق فيه ما يثقله من عنصر المادة، بل تحوّل إلى حدث مجرد، وهذا مبالغة[١٠٨].

الآخر: التوسع في المعنى؛ وذلك أنك إذا عبّرت بالمشتق، فقد أديت معنى واحدا، أي أننا إذا قلنا: (جعل الرؤيا متحققة)، كانت (متحققة) حالا، ولكن إذا عبّرنا بالمصدر، اتسع المعنى، وأصبح أكثر عمقا، كقولنا: (جعل الرؤيا حقا)، وهذا يحتمل المفعولية المطلقة، أي: يحقق حقا، أو تحقيق حقٍ. أيا كان التقدير فهذا يحتمل المفعولية المطلقة، ويحتمل الحالية؛ لأنه يقع جوابا لـ (كيف) فإذا قيل: كيف جعلها ربك؟، قيل:جعلها حقا. وهنا يؤدي المصدر وظيفتين في وقت واحد، وأنت تريدهما معا، قال ابن الجوزيه (ت751هـ): ((مما يدل على هذا أنك تجد مثل هذا صالحا وقوعه جوابا لـ(كيف)...وبالجملة فالمصدرية في هذا الباب لا تنافي الحال، بل الإتيان بالحال ههنا بلفظ المصدر يفيد ما يفيده المصدر مع زيادة فائدة الحال، وهو أتمّ معنى ولا تنافي بينهما))[١٠٩].

وبهذا لا يتحدد معنى (جعل) إلا في نطاق الاستعمال الفعلي للغة في إطار المجتمع، ذلك أن المعنى هو ما يهدف المتكلم إلى إيصاله إلى مخاطبين، لذا ينبغي التوجه إلى تحديد الضوابط التي تحكم الاستعمالات والسياقات التي تحدد معاني الكلمات وأهمها:السياق المقالي Verbal Context والسياق المقامي Context of Situation وكلاهما يحكم الاستعمال ويحدد حركة الكلمات [١١٠]، إذ يبيّن الأول أن الكلمة لا تحدد معناها إلا بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، ويبيّن الآخر أوجه التغيّر الذي يصيب المدلولات باختلاف المواقف التي تستعمل فيها الكلمات على نحو ما انتهى إليه ج.فيرث J.Firth بأن المعنى يتوقف على ما يأتي[١١١]:

1. تحليل السياق صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا.
2. بيان موقف المتكلم من المخاطب والظروف المحيطة بالكلام.
3. بيان نوع الوظيفة الكلامية.
4. بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.

أي أن محددات المعنى محكومة بنحو النص، أو نحو القرآن الكريم بوصفه خطابا، لا يخضع لقواعد غيره أن تفرض عليه،كالتي نجدها تحت لافتات بعض المؤلفات مثل:نحو القرآن وبلاغة القرآن بما لا تختلف عن النحو التقليدي والبلاغة التقليدية إلا باستبدال الشواهد على القواعد.

1. تحليل السياق اللغوي

الخاتمة:

خلص البحث إلى جملة من النتائج أهمها:

1- قدمت المعجمات العربية ولاسيما القديمة منها معنى أصيلا للفعل (جعل)، أو ما يسمى بنواة المعنى هو (التصيير)، وهو معنى حركي قوي لا يمكن أن إهماله مهما تعددت السياقات النصية والظروف المقامية، فالجعل يختلف عن العمل، ذلك أن الجعل عمل يتضمن معنى العلم بالشيء المعمول، و (الجعل) يختلف عن الصنع، لأنه أعم منه، ولهذا يتضمن معنى التحويل والتصيير من حال إلى حال، بحيث يتغير فيه شكل المصنوع، أو صورته.

2- تغافل كثير من النحاة إلا سيبويه نواة معنى هذا الفعل لعنايتهم الكبيرة بالوظائف النحوية لمفردات التراكيب التي تضبط قواعدهم. وهذا أدى إلى تبسيط معنى الفعل (جعل) حتى اختلطت معانيه بمعاني أفعال أخرى بدت كأنها ذات أصول مختلفة لا يجمع بينها مشترك، منها: ظن، وأيقن، وصيّر، وشرع، وأوجد، وخلق، وفرض، وأعطى وغيرها، وأكثر هذه الأفعال جاءت بسبب اختفاء أحد مفاعيل الفعل (جعل)، وبعضها جاء بسبب اعتماد فكرة خاطئة قديمة للغة، بأنها تسمية للأشياء، أو بما أسماه الدكتور مصطفى ناصف بـ (فلسفة الفاعل)، ويراد بها مطابقة المعنى للواقع الخارجي.

3- أثرت المعاني التي ذكرها النحاة واللغويون في توجيه معنى (جعل) في الاستعمال القرآني، بسبب التعقيد الفني لجملة (جعل) في القرآن الكريم، وهذا أدى إلى صعوبة التوصل إلى المعاني في صورتها الشاملة التي يتضافر فيها المعنى الوظيفي للنحو والمعنى المعجمي لمفردات الجملة، فضلا عن المعنى الاجتماعي، ذلك أن الفعل (جعل) يحتاج إلى مفعولين من الذوات أو الأشياء:متحول منه ومتحول إليه في الجملة الأصل غير التحويلية،وقد وردت عليها آيات ليست فيها مشكلة، أما إذا حل محل المفعول الثاني جار ومجرور أو ظرف، فإنهما يوهمان بتعليقهما بالفعل (جعل) فيختفي المفعول الثاني عندهم، فيقدرون أفعالا تتعدى إلى مفعول واحد، وكذلك إذا جاء المفعول الثاني مشتقا فيلتبس بالحال فتقوى علاقته بالمفعول الأول فيوحي أنه اتحد به وحوله إلى مفعول ثانٍ، ثم تتعقد جملة (جعل) إذا جاء مفعولها الثاني مصدرا، لأن المصدر يقوي علاقته بالفعل (جعل) فيصبح مؤديا لوظيفة التأكيد، فتلطف وظيفة الحال. وفي كلّ الأحوال يلجأ المفسرون إلى تبسيط الجملة بإحلال فعل متعدٍ إلى مفعول واحد، وإذا كان معنى التصيير قويا في الذهن من القرائن الاجتماعية المقامية، فإنهم يعطون للجملة معنيين، أولهما: التصيير الذي يوافق القرائن المقامية، وثانيهما: يوافق القرائن اللفظية في الإسناد. ولكن هذه التحويلات كان تعطي جملة (جعل) غنى دلاليا لا يمكن تبسيطه، إلا بحصول خلل في فهم مقاصد الكلام.

الملخص

تأتي أهمية هذا البحث الموسوم (معاني "جعل" في الإفراد والإسناد والاستعمال القرآني) من أهمية الكشف عن المعاني الكلية للتركيب الإبداعي، التي تتولد من تفاعل المعاني المعجمية والوظيفية النحوية في جملة من أغنى الجمل دلالة في القرآن الكريم، لتضمنها معنى معجميا قويا، هو معنى التصيير، الذي لا يمكن تجاهل صورته الحركية مهما كان التركيب النحوي والبلاغي لجملة (جعل).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على ثلاثة مباحث، ركز الأول على المعاني المعجمية الدقيقة، الحسية والمعنوية، وخصص المبحث الثاني لدراسة معاني الفعل (جعل) في التركيب الإسنادي (النحو)، وخصص المبحث الثالث لدراسة معاني (جعل) في الاستعمال القرآني.

وقد أسس المبحث الأول فرضية البحث في إرساء المعاني المعجمية الدقيقة للفعل. ومنه انطلق الباحثان للرد على النحويين الذين تجاهلوا المعاني المعجمية لتركيزهم على المعاني الوظيفية النحوية للفعل (جعل) متجاهلين المعاني المعجمية والتوليدية التي تحدد الموضوع المتحدث عليه ومواقف المتكلم من المخاطب والقوة الانجازية لفعل الكلام. ولاسيما إذا كان الكلام بليغا يختار المفردات لخصوصية معناها الدقيق، حتى لا يمكن أن تحلّ أي مفردة محلها، وإن بدت أنها ترادفها في المعنى، وذلك ما وقع به كبار النحويين والمفسرين في تضمين معنى (جعل) معاني أفعال أخرى منها: خلق، وأنشأ ووضع، وأدخل وغيرها، مما يتعدى إلى مفعول واحد، بسبب اختفاء أحد مفعولي (جعل) نتيجة للتعقيد الأسلوبي في جملة (جعل) القرآنية، ولاسيما إذا جاء المفعول الثاني بهيأة شبه جملة، أو وصف مشتق نكرة، فيلتبس بالحال، فيوحي بأنه اتحد بالمفعول الأول فيختل معنى التصيير،وقد تتعقد الجملة أكثر عندما يحل المصدر محل الحال، ذلك أن المصدر يقوي علاقته بالفعل (جعل) فيؤكده،لكن وجدنا أنه لا تعارض بين الحال والمفعول الثاني، والحال والمفعول المطلق، لأنه يولد غنى دلاليا، ويحافظ على معنى التصيير في الوقت نفسه.

Abstract

The Meaning of Ja'ala (make) in Predication, Designation and the Quranic Use.The importance of this research lies in revealing the full meaning of the creative structure which is produced through the interaction of the lexical, functional and grammatical meanings in a group of the most rich verses in the holy Quran.It includes a strong

lexical meaning which is the verb of being which cannot be ignored in the structure.

The nature of the research needed the research to be divided into three topics, the first one concentrated on the accurate lexical meanings, the sensational and the meaning. The second was about the verb" make" in grammar. The third came about the meaning of the verb" make".

The first topic was based on the hypothesis related to the accurate lexical meanings of the verb. From that, the researcher answered the grammarians who completely ignored the lexical meanings for concentrating on the grammatical function of the verb" make". They also ignored the derivative meanings that determines the theme that is being discussed and the attitudes of the speaker and the performance of the verb, especially when the speech is eloquent that chooses the accurate meanings of the word so that no word can replace it even if they were synonyms. This was the major fault of the grammarians in explaining the meaning of verb" make".

هوامش البحث

(١) العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، تحقيق د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي:299/1، ظ: مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا(ت395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون:460/1.

(٢) ظ: مقاييس اللغة:460/1(الهامش).

(٣) ظ: لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري(ت711هـ)، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حير، وعبد المنعم خليل إبراهيم:222/6.

(٤) م.ن:222/6.

(٥) سمي الجعل بـ (أبي جعران)، وأم جعار، وأم جعرانة، بالنسبة إلى نوع غذائها. ظ: لسان العرب: 222/6، معجم حياة الحيوان الحديث المصور، تأليف وتعريب محمد كاظم المليكي:70/1.

(٦) يمكن إطلاق مصطلح(مجاز المجاورة) على كل علاقات المجاز المرسل؛ ذلك أن السبب يجاور المسبب، والمكان يجاور الذي يحل فيه، والحاضر يجاور المستقبل إلى غير ذلك من العلاقات(الباحثان).

(٧) ظ: مقاييس اللغة:461/1، لسان العرب:222/6.
(٨) الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود:154.
(٩) م.ن:154.
(١٠) ظ: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي:8.
(١١) مقاييس اللغة:397/3-398.
(١٢) ظ: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة، د. علي زوين: 95، الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين:53.
(١٣) ظ: نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندريس، ترجمة د. خالد محمود جمعة: 110-
(١٤) ظ: مفردات ألفاظ القرآن،الراغب الاصفهاني(ت 502هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي:196-197، معجم علوم اللغة عن الأئمة، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر: 163، موسوعة علوم اللغة العربية، إعداد د. أميل بديع يعقوب:52/5-53.
(١٥) سورة الزخرف:19.
(١٦) مفردات ألفاظ القرآن:197.
(١٧) ظ: مفردات ألفاظ القرآن:197، النحو الوافي، عباس حسن:10/2.
(١٨) سورة نوح:16.
(١٩) ظ: أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمرو الزمخشري (ت538هـ) ، تحقيق محمد باسل عيون السود:141/1.
(٢٠) ظ: النحو الوافي:10/2.
(٢١) شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن مالك الطائي (ت672هـ) ، تحقيق علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود:201/1.
(٢٢) ظ:المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي: 18/2،النحو الوافي:10/2.
(٢٣) ظ: مفردات ألفاظ القرآن:197،، أساس البلاغة:141/1، شرح الألفية لابن مالك، تأليف الحسن بن قاسم المرادي (ت749هـ) ، تحقيق فخر الدين قباوة: 211/1، النحو الوافي:19/2.
(٢٤) سورة الأنعام:2.
(٢٥) ظ: لسان العرب:211/6.
(٢٦) ظ: نظرية المعنى في النقد العربي،د. مصطفى ناصف:12.
(٢٧) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)(ت180هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه، د.أميل بديع يعقوب:10/3.
(٢٨) م.ن:411/2.
(٢٩) ظ: البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم الكواز:314.
(٣٠) ظ: دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ،قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر:108-109.
(٣١) ظ: نظرية المعنى في النقد العربي:12.
(٣٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت538هـ)، حققها على نسخة خطية عبد الرزاق المهدي:48/1.
(٣٣) ظ: المفارقة القرآنية، دراسة في أبنية الدلالة،د. محمد العبد: 39، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري:40.
(٣٤) الدلالة والنحو:187.

(٣٥) هذا النص ورد عند ابن منظور، ولم نعثر عليه في كتاب سيبويه. ظ: لسان العرب:6/220-221.
(٣٦) ظ: نظرية المعنى في النقد العربي:12.
(٣٧) معاني النحو، د. فاضل السامرائي:447/2.
(٣٨) ظ: فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، جمال حمود:170-171.
(٣٩) سورة الزخرف:19.
(٤٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمد الآلوسي البغدادي(ت1270هـ)، تحقيق محمد أحمد أمين، وعمر عبد السلام السلامي:59/12.
(٤١) فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين:299.
(٤٢) ظ: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة:68-69.
(٤٣) ظ: م.ن:35.
(٤٤) أوصل الحيري النيسابوري والفيروزآبادي معاني (جعل) إلى سبعة عشر معنى مختلف. ظ: وجوه القرآن،لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت431هـ)، حققه وعلق عليه د. نجف عرشي: 168-169(باب الجيم)، القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي(ت817هـ)، رتبه ووثقه خليل مأمون شيخا:221-222.
(٤٥) ظ: التعبير والأسلوب، تأليف علي جواد الطاهر وزميليه: 38، الأدب والبلاغة، رولان بارت، ضمن:اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة سعيد الغانمي:57.
(٤٦) دلائل الإعجاز:45، ظ:البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت794هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه، مصطفى عبد القادر عطا:24/3.
(٤٧) الدلالة والنحو:273.
(٤٨) سورة المؤمنون:41.
(٤٩) سورة الفرقان:23.
(٥٠) ظ: مفردات ألفاظ القرآن:832.
(٥١) معاني القرآن،الفراء:62/2.
(٥٢) معاني الأبنية في العربية،د. فاضل السامرائي:62.
(٥٣) سورة البقرة:19.
(٥٤) روح المعاني:175/1-176.
(٥٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماد الحنفي(ت982هـ)، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن:74/1.
(٥٦) ظ: دراسة الصوت اللغوي،د.أحمد مختار عمر:352.
(٥٧) فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين:236.
(٥٨) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:74/1.
(٥٩) البقرة:125-126.
(٦٠) التبيان في إعراب القرآن، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(ت616هـ):101/1.
(٦١) م.ن:100/1.
(٦٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:194/1.
(٦٣) ظ: معاني الأبنية في العربية:43 وما بعدها.
(٦٤) ظ: التبيان في إعراب القرآن: 100/1، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:194/1.
(٦٥) شرح المفصل للزمخشري، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت643هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه، د. أميل بديع يعقوب:4/2.

(٦٦) م.ن:12/2.
(٦٧) م.ن:12/2.
(٦٨) سورة إبراهيم:37.
(٦٩) سورة العنكبوت:67.
(٧٠) سورة الأنعام:1.
(٧١) سورة العنكبوت:67.
(٧٢) ظ: مفردات ألفاظ القرآن: 197، أساس البلاغة: 141/1،شرح الألفية لابن مالك(المرادي):211/1، النحو الوافي:19/2.
(٧٣) ظ: نحو نظرية أسلوبية لسانية:205-206.
(٧٤) ظ: في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم خليل:224.
(٧٥) سورة الزخرف:1-3.
(٧٦) سورة الأنعام:1.
(٧٧) الكشاف:230/4.
(٧٨) ظ: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي (ت745هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين:6/8-7.
(٧٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت791هـ):368/2.
(٨٠) روح المعاني:64/13.
(٨١) سورة الأنعام:25.
(٨٢) البحر المحيط:101/4،ظ:روح المعاني:119/4، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة،/ تصنيف محمود صافي:111/7-112.
(٨٣) سورة الأنعام:152.
(٨٤) مفاتيح الغيب ،محمد بن فخر الدين بن ضياء الدين الرازي(ت604هـ):196/6.
(٨٥) الكشاف:13/2.
(٨٦) سورة فصلت:5.
(٨٧) الكشاف:13/2.
(٨٨) مفاتيح الغيب:197/6.
(٨٩) التبيان في تفسير القرآن،لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت460هـ)، قدم له المحقق الشيخ آقابزرك الطهراني:39/5.
(٩٠) ظ: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان:191.
(٩١) سورة الأنعام:2.
(٩٢) سورة يوسف:9-10.
(٩٣) سورة يوسف:15.
(٩٤) ظ:بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل:66.
(٩٥) ظ: مقالات في الأسلوبية،دراسة،د. منذر عياشي:210.
(٩٦) العين:460/1.
(٩٧) البحر المحيط:284/5.
(٩٨) سورة يوسف:10.
(٩٩) التبيان في تفسير القرآن:109/6.
(١٠٠) البحر المحيط:287/5.
(١٠١) الكشاف:430/2.

(١٠٢) لسان العرب:153-152/10.
(١٠٣) الحال المؤكدة هي التي يستفاد معناها مما قبلها، نحو: (وليتم مدبرين).سورة التوبة:25، فمعنى مدبرين مستفاد من (وليتم). ظ: معاني النحو:239/1.
(١٠٤) سورة يوسف:100.
(١٠٥) روح المعاني57/7.
(١٠٦) الكشاف:342/5، ظ: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:429/3.
(١٠٧) ظ: معاني النحو:241/1.
(١٠٨) ظ: م.ن:249/1.
(١٠٩) التفسير القيم، ابن القيم الجوزية (ت751هـ) ، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي:258.
(١١٠) ظ: المذاهب النقدية الحديثة،مدخل فلسفي،د. محمد شبل الكومي:259.
(١١١) ظ: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،أسس نحو النص، محمد الشاوش:70/1.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

1- الأدب والبلاغة، رولان بارت، ضمن: اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1993م.
2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماد الحنفي(ت982هـ)، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 (1419هـ/1999م).
3- أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمرو الزمخشري (ت538هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط1 (1419هـ/1998م).
4- استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1(2004م).
5- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،أسس نحو النص،محمد شاوش،كلية الآداب منوبة، تونس،ط1(1421هـ/2001م).
6- أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت791هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1(1424هـ/2003م)
7- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي(ت 745هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2(1428هـ/2007م).
8- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي(ت794هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1(1428هـ2007م).
9- البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم الكواز، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
10- التبيان في إعراب القرآن، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(ت 616هـ)، شركة القدس للتصدير والاستيراد ،القاهرة، ط1(1428هـ/2008م).
11- التبيان في تفسير القرآن،لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت460هـ)، قدم له المحقق الشيخ آقابزرك الطهراني، المطبعة العلمية في النجف(1376هـ/1957م).

12- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط1(2007م).
13- التعبير والأسلوب، تأليف علي جواد الطاهر وزميليه، مطبعة جامعة بغداد،ط1، 1980م
14- التفسير القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت751هـ) ، جمعه محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط 1(1428هـ/2007م).
15- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة،/ تصنيف محمود صافي، انتشارات مدين، مطبعة النهضة، قم،ط1(1411هـ/1990م).
16- دراسة الصوت اللغوي،د.أحمد مختار عمر،عالم الكتب،القاهرة،ط4، (1427هـ/2006م).
17- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471هـ)،قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط3(1413هـ/1992م).
18- الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، توزيع مكتبة الآداب، ط1، (د.ت).
19- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمد الآلوسي البغدادي(ت 1270هـ)، تحقيق محمد أحمد أمين، وعمر عبد السلام السلامي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1(1420هـ/1999م).
20- شرح الألفية لابن مالك، تأليف الحسن بن قاسم المرادي(ت 749هـ)، تحقيق فخر الدين قباوة، دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر، بيروت،لبنان،ط1(1428هـ/2007م).
21- شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله جمال الدين بن عبد الله بن مالك الطائي(ت 672هـ)، تحقيق علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط1(1420هـ/2000م).
22- شرح المفصل للزمخشري، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت 643هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه، د. أميل بديع يعقوب،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1422هـ/2001م).
23-العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، تحقيق د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس(16)، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
24- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت 395هـ)، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط3،(1426هـ/2005م).
25- فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين، جمال حمود، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت - لبنان، ط1(1430هـ/2009م).
26- في اللسانيات ونحو النص، د. إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، العبدلي، ط2(1427هـ/2007م).
27- القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي(ت817هـ)، رتبه ووثقه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت،لبنان،ط2(1428هـ/2007م)
28- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر(سيبويه) (ت180هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه، د.أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط1(1420هـ/1999م).
29- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(ت538هـ)، حققها على نسخة خطية:عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،لبنان،(1421هـ/2001م).

30- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري(ت711هـ)، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حير، وعبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان ،ط1،(1426هـ/2006م).
31- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة ،ط5(1427هـ/2006م).
32- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، مكتبة الشروق، شارع سوريا، بيروت، (د.ت).
33- المذاهب النقدية الحديثة، مدخل فلسفي، د. محمد شبل الكومي، تقديم د. محمد عناني، الهيأة المصرية العامة للكتاب،2004م.
34- معاني الأبنية في العربية،د. فاضل السامرائي، جامعة الكويت، كلية الآداب،ط1(1401هـ/1981م).
35- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ) ،تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار،دار السرور،(د.ت).
36- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بيت الحكمة، (1986-1987م).
37- معجم حياة الحيوان الحديث المصور، تأليف وتعريب محمد كاظم المليكي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف، ط1(1988-1989م).
38- معجم علوم اللغة عن الأئمة، د. محمد سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس للتوزيع والنشر، الأردن، ط11426هـ/2006م.
39- المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، ردمك، دار الكتب الوطنية،/ بنغازي، ليبيا، ط2، 2007م.
40- مفاتيح الغيب ،محمد بن فخر الدين بن ضياء الدين الرازي(ت 604هـ)، دار الفكر،بيروت، لبنان،ط3،(1405هـ/1985م).
41- المفارقة القرآنية، دراسة في أبنية الدلالة، د. محمد العبد، مطبعة الأمانة، دار الفكر العربي،ط1 (1415هـ/1994م).
42- مفردات ألفاظ القرآن،الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي مطبعة سليمانزاده، ناشر طليعة نور، ط2(1427هـ).
43- مقالات في الأسلوبية، دراسة، د.منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، دمشق، 1990م.
44- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا(ت395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت).
45- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة، د. علي زوين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1(1986م).
46- موسوعة علوم اللغة العربية، إعداد د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،(1427هـ/2006م).
47- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، (د.ت).
48- نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندريس، ترجمة د. خالد محمود جمعة، المطبعة العلمية، دمشق، ط1(1424هـ/2003م).
49- نظرية المعنى في النقد العربي،د. مصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2،(1401هـ/1981م)

50- وجوه القرآن،لأبي عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت 431هـ)، حققه وعلق عليه د. نجف عرشي، مؤسسة الطبع التابعة للإستانة الرضوية المقدسة، ط 1 (1422هـ/1380ش).